مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 11 عدد: 1 السنة: 2022
ص: 892 - 906 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

فوضى المصطلح النقدي العربي المعاصر–العلل، النتائج والمقترحات

Anarchy in the Use of the Contemporary Arabic Critical Terminology - Causes, Conclusions and Proposals

[*] أ.د. رحماني عبد القادر
Dr. RAHMANI Abdelkader
جامعة الجزائر 2 – قسم علوم اللسان – الجزائر
University of Algiers 2-Algeria
rayhani66@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021/06/28	تاريخ القبول: 2021/09/20	تاريخ النشر: 2022/03/02

ملخص البحث

يعرف المصطلح في الممارسات النقدية العربية المعاصرة فوضى عارمة، تستدعي توحيد وتضافر الجهود لوضع حد لهذه الظاهرة الغريبة التي تهز عرش النقد الأدبي العربي المعاصر وتضعضع دوره في دفع حركة الإبداع الأدبي العربي قدما نحو الأمام.

ولعل أول خطوة حكيمة لتلافي استفحال ظاهرة الفوضى في المصطلح النقدي، هي ضبط آليات ترجمة مصطلحات المناهج والنظريات النقدية الغربية، بواسطة مؤسسات ترجمية موحدة بين العرب شرقا وغربا، ناهيك عن تفعيل دور المجامع اللغوية العربية وإعادة الاعتبار لروافد التراث العربي في وضع المصطلح النقدي العربي المعاصر.

هذا فضلا عن التفكير الجدي في توحيد الجهود لإنتاج نظريات ومناهج نقدية عربية أصيلة، تنبع من رحم هذه الأمة، إذ تكون كفيلة باستيعاب النص الأدبي العربي وتفهم خلفياته وجمالياته

الكلمات المفتاح : أزمة، فوضى، مصطلح نقدي، ترجمة، مناهج نقدية، تراث

Abstract :

The term defines in contemporary Arab criticism practices a massive chaos, which calls for unification and concerted efforts to end this Western phenomenon that shakes the throne of contemporary Arab literary criticism and weakens its role in promoting the movement of Arab literary creativity.

Perhaps the first wise step to avoid exacerbating the phenomenon of chaos in the critical term is to adjust the mechanisms of translating the terminology of Western curricula and critical theories, by means of unified translation institutions between East and West Arabs, not to mention activating the role of Arab linguistic

[*] رحماني عبد القادر. rayhani66@yahoo.fr

assemblies and rehabilitating the tributaries of Arab heritage in the development of the contemporary Arab critical term.

This is in addition to a serious reflection aimed at uniting efforts to produce original Arab critical theories and approaches that stem from the womb of this nation, as they are capable of understanding the Arabic literary text and understanding its origins and aesthetics.

Keywords: Crisis, Anarchy, critical term, translation, critical approaches, legacy

. مقدمة:

يشكل المصطلح على وجه العموم في مختلف الممارسات العلمية والأدبية والنقدية، حلقة وصل بين المنتج(المبدع) والقارئ(المتلقي)، وطريقة مثلى لتفعيل حركية البحث والإبداع، لذلك يجتهد القائمون على وضع المصطلح في الوطن العربي مسايرة ما تنتجه الحركة العلمية والثقافية الغربية من أجهزة تكنولوجية ونظريات أدبية ونقدية من خلال وضع ما يقابلها في اللغة العربية، لتسهيل تداولها وفهمها بين الأوساط الشعبية العربية، وربما توخيا لإبداع نظريات عربية ذات يوم، تنبع من صميم الثقافة العربية.

ويتكفل بهذه المهمة الصعبة المعقدة، مختصون ومؤسسات علمية ثقافية في مثل المترجمين والمجامع اللغوية العربية، والنقاد المختصين، معتمدين على طبيعة ثقافتهم اللغوية والعلمية على حد سواء.

ونحن إذ تمعنا في واقع الشعوب العربية على وجه العموم، وجدناها شعوبا تابعة علميا وثقافيا لا متبوعة، ومقلدة لا مبدعة ومستهلكة لا منتجة، وينسحب هذا على المستوى العلمي وكذا المستوى النقدي الذي نخوض في حيثياته في هذا المقال المقتضب، إذ ينتج الغرب عشرات النظريات والمناهج النقدية التي تتوخى دراسة النص الأدبي بمختلف أجناسه وأنواعه، فيتل قفها النقاد العرب محاولين فهمها وترجمتها، من أجل تطبيقها على النصوص الأدبية العربية التي أنشأت ضمن ثقافة مجتمعية عربية مختلفة قليلا أو كثيرا عن تلك المناهج والنظريات النقدية الغربية.

إذا كان هذا هو واقع الحال، فما هي طرائق وضع المصطلح النقدي في الواقع العربي؟وما هي آثار ذلك على انسجامية المصطلحات في الممارسات النقدية العربية شرقا وغربا؟وما سبل توحيد المصطلحات النقدية العربية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة المحورية في مقالنا الموسوم ب(**فوضى المصطلح النقدي العربي المعاصر–العلل، النتائج والمقترحات**)، اتبعنا الخطة الموالية:

أولا :مفهوم المصطلح

ثانيا :مفهوم المصطلح النقدي

ثالثا:الطرائق المعتمدة في وضع المصطلح النقدي عند العرب :

أ/ ربط حاضر الأمة بماضيها

ب/ربط حاضر الأمة بالثقافة الغربية الراهنة (تفعيل حركة النقل والترجمة)

ج/ الاستفادة من التراث العربي الغني ومن الثقافة الغربية

رابعا:نتائج الطرائق المعتمدة في وضع المصطلح النقدي عند العرب

خامسا:خاتمة

سادسا :توصيات

وقد اعتمدنا على المنهج النقدي، بواسطة آليتي الوصف والتحليل

أولا : مفهوم المصطلح

المصطلح كما ورد في كثير من المعاجم العربية ، مصدر اصطلح بمعنى اتفاق جماعة أو طائفة على شيء مخصوص، بحيث يصبح لكل علم اصطلاحاته[1]، كما أنه عند الشريف الجرجاني"إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى لغوي آخر لبيان المراد"[2].

أما في تاج العروس فهو"اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[3]، وتشير الدراسات المهتمة بهذه الحقول المعرفية أن"المتكلمين هم أول من اهتم بالمصطلحات"[4]، وقد أشار العلامة الجاحظ، إلى أثار الإسلام حيث "أشار إلى ترك الناس لألفاظ كثيرة، واستحداث ألفاظ جديدة"[5].

نستنتج مما سبق ذكره باقتضاب، أن المصطلح قضية قديمة في التراث العربي، نالت حظها من الاهتمام، فالتحولات الاجتماعية والثقافية والدينية، تفرز تحولات جسيمة على مستوى المصطلح، وبهذا تندثر مصطلحات لم يعد لها معنى في الحياة وتبزغ مصطلحات جديدة، متساوقة مع المتغيرات بمختلف أصنافها وأشكالها.

وهي عند غيرنا (TERM)المشتقة أصلا من الكلمة اللاتينية terminus بمعنى"لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم أو فن أو مهمة أو موضوع"[6].

والمصطلح أيضا كلمة"لها في اللغة المتخصصة معنى محددا وصيغة محددة، وعندما تظهر في اللغة العادية يشعر المرء أن هذه الكلمة تنتمي إلى مجال محدد"[7].

ثانيا : مفهوم المصطلح النقدي

كما قلنا سلفا إنّ كل العلوم والفنون تختص بمصطلحات خاصة تميزها عن بعضها البعض، وإن كانت هناك مصطلحات مشتركة عموما، فلعلم الأرض مصطلحاته تدل عليه، وتميزه من حيث اختصاصه ومجالاته، فكذلك للنقد الأدبي مصطلحاته، تميزه كحقل أدبي يمارس وظيفته في النصوص الأدبية بمختلف أشكالها وأنماطها، بالاعتماد على مدارس ونظريات ومناهج نقدية مختلفة، متآلفة أو مختلفة، والمصطلح النقدي جزء من الدرس النقدي [8]، ماضيه وحاضره ومستقبله، فالنقد العربي القديم، المتسم أصلا بالشفوية، تعارف أهله على مصطلحات نقدية جامعة مانعة، إذا أطلقت على منجز شعري، أدرك الشاعر والمتلقي على وجه العموم، مكانة وقيمة ذلك العمل الأدبي، بيتا شعريا كان أو قصيدة برمتها، فتداول العرب"القصيدة والمعلقة والبيت الشعري، الحوليات، أشعر الناس" كما أنهم تداولوا مصطلحات في عصور متأخرة مثل العصر العباسي "كثرة الماء، قصيدة أشبة بخطبة ارتجلها، وكانت مصطلحات نقدية مستلهمة من صميم الثقافة العربية الأصيلة، وإن كانت قد امتزجت بثقافات أجنبية أخرى كالفارسية والهندية والإغريقية، لكنها حافظت على شخصيتها وهيبتها، استفادت من الواقع الثقافي الجديد، دون أن تقفز فوق التراث العتيد، وإن كان النقاد العرب في العباسية قد تحدثوا من وراء تمركزات دينية في مثل الشيعة والمعتزلة.

أما المصطلح النقدي العربي الحديث والمعاصر فقد استلهم وجوده من واقع مر، ينم عن تبعية عربية شبه تامة لما ينتجه الغرب من مدارس نقدية ومناهج ونظريات، فتولدت أزمة مصطلحاتية نقدية، هي صميم وفحوى مقالنا.

فالمصطلح النقدي شكل الوتد الذي يقوم عليه الخطاب النقدي [9]، وقد اعتبر"مصطلحا مؤلفا من ألفاظ محددة، فهو مقيد من جهة دلالته اللفظية، وباعتباره دلالة على قيمة فكرية قابلة للتفاعل والتغير بحكم الواقع الذي يتعامل معها، فهو منفتح من جهة دلالاته الاجتماعية والجمالية مؤثر بمضمونه على الفعل الثقافي في حين أن هذا المضمون ما برح يعاني من لبس وإبهام يحيطان بكثير من جوانبه"[10].

والمصطلح النقدي –أخيرا –هو الآلية الفعالة التي بفضلها يؤدي الناقد وظيفته، محدثا وعيا وإدراكا لدى المتلقي بقيمة العمل محل الممارسة النقدية ، علوا وهبوطا، وهو"لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية"[11].

ثالثا : الطرائق المعتمدة في وضع المصطلح عند العرب

نحن لا نقصد إثارة عنصر كيفية صياغة المصطلح النقدي عند العرب، إنما الطرائق المعتمدة في وضعه، فإن نحن تحدثنا عن صياغة المصطلح النقدي، فإننا نحصي هذه الآليات: النحت، الاشتقاق، التعريب، الترجمة[12]،

وهذه الوسائل ليست حكرا على وضع المصطلح النقدي، وإنما على جميع المصطلحات العلمية والفنية والفلسفية، فما هي الطرائق الشائعة في وضع المصطلح النقدي عند العرب حديثا؟

1 – ربط حاضر الأمة العربية بماضيها (التراث):

وجد نفر غير قليل من المفكرين والعلماء والنقاد العرب المحدثين والمعاصرين، حلا لمشكلة وضع المصطلح في الممارسات النقدية، ويكمن هذا الحل في البحث في ثنايا النقد العربي القديم، خصوصا المرحلة التي مر النقد العربي من المشافهة إلى الكتابة والتدوين والتأليف، ويقصدون العصر العباسي، عصر المصنفات والتجديد في كل نواحي الحياة العلمية والفكرية والأدبية، خصوصا إذا آمنا مع هؤلاء أن كثيرا من القضايا النقدية التي أثرتها المدارس والمناهج النقدية الغربية، قد تحدث عنها النقاد العرب في مؤلفاتهم، وإن كانت بطريقة مختلفة، فالمناهج النقدية السياقية مثلا وإن كانت غربية الوضع، فإن النقاد العرب قد أشاروا إلى تلكم القضايا مثل الملامح التاريخية والنفسية والاجتماعية في الرؤية النقدية عند ابن سلام الجمحي، من خلال كتابه الشهير"طبقات فحول الشعراء"، وما تداوله من مصطلحات نقدية حفل بها المصنف، يمكنها أن تنير الطريق لواضعي المصطلح النقدي العربي المعاصر، فهؤلاء لا يوافقون الأصوات التي ترفع شعار إشكالية المصطلح النقدي" [13]، ويردون عنهم"لو رجع من يرفع هذا الشعار إلى التراث العربي الضخم لوجدوا الطريق ممهدا"[14]، والحقيقة أن هؤلاء يقرون في الوقت نفسه أنه يمكن الاستفادة من التراث النقدي الغربي لوضع مصطلحات نقدية معاصرة، في حال تعذر وجود المقابل المباشر، بمعنى أن هؤلاء لا يغلقون الباب في وجه من يجتهد في إيجاد حل لتدفق المصطلحات النقدية الغربية، ومن أهم مميزات هذا الاتجاه، ربط حاضر الأمة بماضيها وإحياء التراث العربي الأصيل وإمكانية توحيد المصطلحات في الممارسة النقدية العربية النقدية، بحكم الرجوع إلى عنصر مشترك بين العرب جميعا شرقا وغربا وهو

"التراث"، وفي هذا الصدد" يصرح الباحث أحمد مطلوب "إنّ انقطاع بعض المهتمين بقضايا الأدب ونقده عن التراث العربي أدى إلى هذه المشكلة المتصورة أو المفتعلة ولو أدرك المنقطعون مسالك الغربيين وعودتهم إلى التراث اليوناني والروماني لرأوا السبيل واضحة العيان، ومما أدى هذه المشكلة أن بعضهم لا يعرف الظروف التي نشأ فيها المصطلح والأسباب التي دفعت إلى وضعه ولم يطلع على الأدب الأجنبي إطلاعا يؤهله لفهم المصطلح فهما دقيقا واكتفى بما يكتب عن الأدب من مقالات أوقعته في الخلط والاضطراب"[15]

ويؤمن هؤلاء الباحثون أن تراثنا الأدبي والنقدي غني كل الغنى، ومن شأنه أن يذلل جميع الصعاب المصطلحاتية، فقط القضية تقتضي مجهودا عميقا في إعادة قراءة التراث، قراءة واعية وإصدار المعاجم المختلفة التي تجمع المصطلح التراثي وتوثقه، وتضعه معينا أمام ممارسي الحركة النقدية سهلا طيعا، " هذه المعاجم التي سمحت لهم بوضع مصطلحات أدبية ونقدية كان لها الأثر في تقدم الحركة الأدبية الحديثة"، [16]لأن"إشكالية المصطلح النقدي حدثت من فوضى التأليف والترجمة" [17]، وأن توحيد الطريقة من شأنه القضاء على الفوضى والتشرذم.

2 – ربط حاضر الأمة العربية بالغرب

على النقيض من الاتجاه الوطني القومي الذي يحث على النهل من التراث العربي لتحقيق الأصالة المصطلحاتية، يذهب فريق آخر من العلماء والنقاد العرب إلى ضرورة الانفتاح على المذاهب الأدبية الغربية والمدارس والنظريات والمناهج النقدية، وذلك بنقل وترجمة هذه النظريات إلى اللغة العربية ومحاولة تطبيقها على النصوص الأدبية العربية التي أنشأت في ظروف تختلف قليلا أو كثيرا عن ظروف النص الأدبي الغربي، وتحمل مقومات لغوية وفكرية خاصة وليدة تر اكم أزمنة كثيرة من الحضارة والثقافة والوعي.

إن هؤلاء المفكرين والنقاد يريدون اختصار الطريق، فينقلون نظريات غربية جاهزة تحمل رؤية فكرية ومجتمعية معينة، دون لف ولا دوران، ويتم ذلك بالضرورة عبر قناة النقل والترجمة، ومن مميزات هذا الاتجاه مواكبة التطور في الحركة النقدية العالمية وانخراط في العولمة التي أضحت موضة العصر بامتياز، وكذلك تشجيع حركة الترجمة، وإن كان الفريق الأول يرى أن هذا الاتجاه شجع على"طغيان المصطلحات الأجنبية فيما ينشر ويترجم"[18].

إنّ الاعتماد على الترجمة في تعريف العرب بما ينتج الغرب من نظريات ومناهج نقدية، بغية تطبيقها على النصوص الأدبية العربية، يستوجب خطة محكمة من قبل القائمين عن هذه الحركة النقلية، بيد أن الواقع يدل على عكس ذلك، فهناك ثمة حرية تامة في الترجمة، فصرنا أمام ترجمات وليس ترجمة واحدة، فازدحمت الساحة النقدية بمصطلحات كثيرة ومتعددة، لمقابل مصطلحي غربي واحد، من جراء اختلاف ثقافات المترجمين العرب، ومصدر لغة الترجمة من فرنسية أو انجليزية أو غيرهما، وأصل الأزمة أن هذه المصطلحات" تحمل في مضمونها شحنات معرفية وعقائدية وعاطفية مرتبطة بأبعاد الثقافة التي أوجدتها"[19]، فيجب توخي الحذر كل الحذر حين محاولة نقلها وتطبيقها على النص الأدبي العربي الذي يكتنز مقومات فنية ولغوية مغايرة قليلا أو كثيرا وجب أخذها بعين الاعتبار إذا أردنا تجنب السقوط في إكراهات النص وتعنيفه.

وفي هذا الاتجاه يصرح الباحث محمد طبي أن"كثيرا من المثقفين والمسؤولين ببلادنا يلقون صعوبات في التعبير الكتابي والشفاهي باللغة العربية، لكونهم تعلموا أو تدربوا على التعامل مع المصطلح الأجنبي، ولم يبذلوا جهدا للاطلاع على خبايا وقدرات لغتنا"[20]، ومعنى ذلك أن المترجم العربي يشترط فيه التمكن من لغته الأم بمختلف تفرعاتها، قبل الحديث عن تمكنه من اللغة الأجنبية، فرنسية كانت أم انجليزية أم غيرهما.

إن القائمين على الترجمة في الوطن العربي هم في الحقيقة أفراد وليسوا مؤسسات ذات تقاليد معرفية وفكرية موحدة، وهذه الفرادة هي السبب الرئيس في تشرذم المصطلح النقدي إلى حد التناقض بين مصطلح وآخر، فهذا ينهل من اللغة الفرنسية وذاك من الإنجليزية، وهذا يحمل معجمية عربية شخصانية تختلف عن الآخر من بني جلدته، وهذا مشرقي وذاك مغاربي، وفي هذا الجو التناحري تزدحم سوق المصطلحات النقدية وتعمها الفوضى، فكل مترجم يعتز بترجمته ويراها الأمثل.

3/ الاستفادة من التراث العربي والثقافة الغربية

في كل حقل معرفي أو نقدي أو علمي هناك من يمسكون العصا من الوسط، فهذا الاتجاه يحاول ربط الصلة بالتراث من خلال إعادة بعث مصطلحاته النقدية من جديد أو تحيينها، بما يدل على ما انتجته الثقافة الغربية، ويساعد المتلقي العربي في فهمنة تراثه الغني وكذا المدارس والنظريات الغربية، فتحدث لديه إشراقات مصطلحاتية تنير له درب فهم النصوص الأدبية، كما تحصل له قناعات بالافتخار برجالات الفكر والنقد العربي القديم، وفي الوقت نفسه يربطون الصلة بالثقافة الغربية، فينقلون نتاجهم

الفكري والمعرفي عن طريق الترجمة والنقل، محاولين قدر الإمكان البحث عن البديل العربي للمصطلح الغربي، وإن تعذر ذلك قاموا الابتكار والإبداع بواسطة آليات معروفة.

ومن محاسن هذا الاتجاه، الابتعاد عن العصبية للتراث أو التطاول عليه، فيبقى التراث دوما حقلا خصبا لصيرورة الأدب والنقد العربيين على مر العصور.

ومن سيئاته في كثير من الأحايين، تكليف التراث العربي أكثر مما يطيق، فيفرضون عليه أقاويل ومصطلحات لم تخطر على بال فطاحلة وجهابذة النقد الأدبي القديم.

رابعا:واقع المصطلح في الممارسات النقدية العربية المعاصرة (رصد وتحليل)

أ/ لا يختلف اثنان أن سوق الممارسات النقدية العربية المعاصرة تعج بظاهرة تشرذم وفوضى المصطلح بين العرب شرقا وغربا، وتتضح أكثر بين النقد المشرقي والنقد المغاربي، فيشعر القارئ المتلقي أنه يقرأ لنقدين مختلفين شكلا ومضمونا، فمصطلحات البنوية والأسلوبية، هي في الأصل الغربي على وجه العموم واحدة، لكنها حين تنقل إلى النقد العربي، تتحول إلى مصطلحات جمة كثيرة، خضعت في الأصل إلى طبيعة ثقافة المترجم اللغوية والفكرية وحتى الفلسفية والفنية، والنفسية، بل من الغريب جدا أن تجد لكل مترجم مصطلحاته الخاصة به، كأنه أراد بها التميز والتفرد، وهذه الظاهرة الغريبة جدا على نقدنا العربي الأصيل، هي آفة تنخر وجوده وفاعليته ووحدته، وتزيد من القطيعة السياسية بين العرب ، قطيعة أخرى"القطيعة المصطلحاتية"في الممارسة النقدية.

فالواقع النقدي العربي"واقع متأزم، لا يزال خطابه يتخبط في عشواء المناهج النقدية الجديدة، ويكابد وعثاء المصطلحات البراقة، وكثيرا ما تعالت الصيحات وهبت المعالجات لتشخيص ذاك الفيروس الاصطلاحي الذي طالما حمل جريرة هذا الطاعون".[21]

ومن حقنا أن نتساءل محتارين، ما هي الأسباب الحقيقة لهذه التشرذم والتناحر المصطلحي؟

ب/ أسباب الفوضى المصطلحاتية في سوق الممارسة النقدية العربية المعاصرة

تقف خلف ظاهرة الفوضى المصطلحاتية في الممارسة النقدية، عوامل جمة كثيرة، بعضها علمي وبعضها الآخر شخصي بحت، وهذه طائفة من العوامل رصدناها باقتضاب:

1-الفراغ النقدي الرهيب الذي يميز الساحة الأدبية والإبداعية العربية المعاصرة، فلم نعد نسمع البتة بنظرية أو مدرسة أو منهج نقدي عربي ينبع من صميم الثقافة العربية، فيكون صنوا لها، معبرا عنها،

عاكسا لها، ولو كنا نملك منظرين ومدرسيين في هذا الاتجاه، لهان الأمر قليلا أو كثيرا في مسألة المصطلح، فالمخترع يتدبر أمره بشتى الوسائل في وضع وابتكار مصطلحات أفكاره النقدية حتما.

فالنقد العربي القديم بشقيه الشفهي والتدويني، قد نشأ من رحم هذه الأمة، فكانت له مصطلحاته التي لها جذور في تاريخنا الحضاري والفكري والسوسيولوجي، فمصطلح "كثرة الماء"، الذي يدل على الخصوبة، له ما يبرره تاريخيا ونفسيا عند العرب منذ الجاهلية.

2-الاعتماد كليا -بنوع من الانبهار- على ما ينتجه الغرب من نظريات ومناهج نقدية، ليست بالضرورة عالمية، بقدر ماهي انعكاس لطبيعة النصوص الأدبية الغربية بالدرجة الأولى، فالعرب هنا يقفون موقف المستهلك المضطر، لا المبدع المختار، فيجدون أنفسهم يلهثون على مدار الساعة لفهم ونقل هذه الحركة التي لا تنضب ولا تتوقف.

3-الاعتماد على الترجمة حصريا في نقل النظريات والمناهج النقدية الغربية، إلى اللغة العربية، وهنا يحدث الخلل، فعرب شمال إفريقيا (المغرب العربي) ينقلون عادة من اللغة الفرنسية، في حين أن عرب المشرق العربي ينقلون في العادة من اللغة الإنجليزية، فتصبح لدينا ترجمات كثيرة متنوعة لنفس المصطلح النقدي، إذ تدخل ثقافة المترجم ونفسيته عاملا أساسيا في طبيعة الترجمة، والذي يدفع الضريبة كاملة هما النقد العربي والمتلقي العربي، مشرقيا كان أم مغربيا.

4- شعور المشارقة بنوع من التعالي إزاء إخوانهم المغاربة، فيعتقد الأولون أن لغتهم العربية أنقى وأصفى، لأسباب شخصية وتاريخية، فيحدث ألا يقرأ المشارقة للمغاربة في أغلب الأحوال، وهو عامل أساسي يضاف للعوامل السابقة في فوضى سوق المصطلحات النقدية وغيرها، ويعمق الهوة والأزمة.

- انعدام فكر ترجمي عربي مؤسساتي، يكبح جماح الغرور والعنفوان لدى المترجمين، فكل ما لدينا للأسف، هو فكر نقدي ترجمي ذاتي، بل إن المترجم الواحد قد يتناقض مع نفسه في فترات من حياته العلمية، حين يترجم مصطلحا نقديا غربيا بعدة مصطلحات عربية.

5-انكماش دور المجامع اللغوية العربية، فحالها من حال دول الأمة العربية، ما انفكت تهتم بسفاسف الأمور من مناوشات واتهامات ونعارات، فالسبب السياسي، ألقى بظلاله على الجانب الفكري والثقافي.

6-تخلف العرب عن مواكبة ما ينتجه الغرب من مدارس نقدية، إذ تشهد الساحة النقدية العربية تخلفا في ذلك، فالمناهج النقدية التي تلفظها الذائقة الغربية، منتقلة إلى مناهج أخرى، ما تزال

الذائقة العربية تقبل عليها، محاولة فهمها ونقلها وتطبيقها على المنجز الأدبي العربي المعاصر، وهذه الهوة باقية ما بقينا على حالنا المتخلفة.

7-النظرة المستعلية للتراث العربي، والمكبرة للثقافة الغربية، وهذا أمر لا يستغرب، فالمغلوب يقلد الغالب ويقتدي به على حد تعبير العلامة العربي "ابن خلدون "في مقدمته.

ج/النتائج المترتبة عن هذه الأسباب

للأسف الشديد، هذه الأسباب مجتمعة تركت آثارها السلبية على واقع الممارسات النقدية العربية، عند المشارقة وعند المغاربة على حد سواء، فصارت الساحة النقدية تشهد مزيدا من التأزم ، بفعل وفرة الترجمات والنقول للمصطلح النقدي الغربي، وقلة التوافق والتساوق، وهذه أهم النتائج الكارثية:

1-ازدحام الساحة النقدية العربية بالمصطلحات النقدية بالترادف والتناقض:بحيث إن أردت أن تعرف ترجمة مصطلح POETIC...POETIQUE تجده :البويطيقا، الشعرية، الشعرية، الإنشائية، فن الشعر، نظرية الشعر، فن النظم، فن الإبداع الأدبي، وnarratologies تجده :السردية، السردانية، السرديات، علم السرد، نظرية الحكي، علم القص، علم الحكي، علم الرواية، نظرية السرد، نظرية الرواية، نظرية القصة، نظرية الحكي.....فمن حقنا أن نستفهم:لماذا المصطلح الغربي الموحد، حين ينقل إلى اللغة العربية يصير متعددا؟لسنا نتفق مع من يزعم أن هذا من ثراء اللغة العربية بمفرداتها ومرادفاتها، فهذا عبث لغوي، يزيد التشرذم العربي تشرذما وتفرقا، وهل المتلقي العربي مجبر إلى هذا الحد إلى حفظ كل هذه المصطلحات للفظة الغربية الواحدة، وعلى أي أساس سيستعمل هذه دون تلك؟هل هو إرضاء لشخص أو لمنهج أو لنفسه؟إنه الثراء اللغوي الذي يؤدي إلى المأزق المصطلحي.

2-أصبح لكل ناقد عربي مصطلحاته ومعجمه النقدي الخاص به، وكأنها لعبة التميز والتفرد المقصود، فهل نحن أمام نقد عربي معاصر؟أم نقد عربي شخصاني، يريد الناقد إثبات أدواته النقدية عند المتلقي تفردا وتميزا، وعلى أي أساس سنطمئن إلى هذا الناقد أو ذاك؟فأنت إذا طالعت كتابات النقد المغربي صادفت مصطلحات نقدية مختلفة عن ما هو مستفحل في النقد الجزائري، حيث من المفروض بحكم التقارب الثقافي والتاريخي واللغوي أن يكونا صنوبين لا مختلفين؟فهذا الناقد الجزائري الفذ"عبد المالك مرتاض" الذي اعتبر من رواد الباحثين في المصطلح وإليه يعود الباحثون في ذلك"، [22]يولد بين الفينة والأخرى مصطلحات لغوية ونقدية لا يستعملها غيره مطلقا، إلا متأثرا وتابعا ومحاكيا له، مثل مصطلح "أخراة" الذي لم نجد له أثرا في كل الكتابات النقدية القديمة والحديثة – في حدود مطالعتنا-،

فهل عبد المالك مرتاض يؤسس لمعجم نقدي شخصاني يريد فرضه على الذائقة النقدية الجزائرية والعربية؟أم أنه اجتهاد لا يختلف عن بقية الاجتهادات التي تزيد المصطلح النقدي واللغوي فوضوية وغرقا في عتمة.

فإذا أصبح ميدان المصطلح النقدي سوقا لعرض البضا ئع، كل ناقد يعرض بضاعته ويتعصب لها، إذ يراها قد بلغت الكمال، فمثلا RECEPTION THEORY ترجمت إلى اللغة العربية في حدود معرفتنا إلى نظرية الاستقبال في مثل كتاب "قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، دراسة مقارنة للمؤلف عباس عبد الواحد، و كذلك ترجم إلى "نظرية التلقي" [23]، مما يعبر بحق حجم المشكلة في التمييز بين دلالة الاستقبال من جهة و دلالة الاستجابة من جهة أخرى، فكيف يتصرف القارئ والمتلقي العربي إزّاء هذا التراكم والازدحام المصطلحي، وما هي آليات استعمال هذا المصطلح دون ذلك للتعبير عن مصطلح غربي واحد؟، ولا أفشي سرا إذ قلت: إذ كثيرا ما كنا نحرج من قبل طلبتنا في المحاضرات ودروس التطبيق ومناقشات المذكرات والأطروحات في مجال الدرس النقدي، إذ يطرح الطالب انشغاله بوجود تخريجات جمة لم صطلح واحد، مستفهما ببراءة، هل هو ترادف ؟أم تطور؟أم تناقض؟مثل المصطلحات المتعلقة بحقل السيمياء، إذ يشكو الطلبة الباحثون من:العلامتية، الإشارية، علم العلامات، العلم العام، علم الدلالة وغيره مما تعج به كتب النقد العربي المعاصر شرقا وغربا، والأدهى والأمر أن معنى هذه المصطلحات في الممارسة النقدية العربية مختلف قليلا أو كثيرا عن أصله في اللغات الغربية[24]، إذ يعمد كثير من الطلبة إلى حيلة في هذا الباب، تتلخص في استعمال المصطلحات النقدية التي يميل إليها أستاذهم أو مشرفهم على أمل أنه يتصدى للمناقشين يوم عرض المذكرة أو الأطروحة أمام لجنة المناقشة الموقرة، هذا فضلا عن ضرورة كتابة المقابل المصطلحي الغربي في كل مرة جنبا إلى جنب مع المصطلح العربي، محاولة لتضييق أزمة انفتاحية المصطلح العربي على تأويلات أخرى.

هذا عدا ذلك الخلط العظيم بين مصطلحات الأسلوبية وعلم البلاغة، فكثير من النقاد العرب يرون أن الأسلوبية هي استمرار شرعي لعلم البلاغة العربية، وآخرون يرون أن هناك قطيعة بين علم البلاغة والأسلوبية كمنهج قرائي غربي، إذ أضحينا أمام أسلوبيات وليس أسلوبية واحدة وهي: الأسلوبية التعبيرية، الأسلوبية النفسية، الأسلوبية البنيوية، الأسلوبية الإحصائية، الأسلوبية السياقية، الأسلوبية الحوارية، الأسلوبية الانزياحية، ومن أتباعها: عبد السلام المسدي، منذر عياشي، محمد عبد المطلب، محمد عزام، محمد شكري عياد، .....

وأذكر كثيرا من العناوين لأطروحات في الدراسات النقدية، تتخذ المنهج الأسلوبي حقلا تطبيقيا لمدونة ما، فإذ بها تنهج منهجا نقديا بلاغيا مدرسيا تقليديا، متمثلا في دراسة مسحية للصور البيانية والمحسنات البديعية والظواهر اللغوية، فضلا عن علم العروض وعلم النحو والصرف، فهل هذه مشاريع بحثية بلاغية أم أسلوبية؟وما الفرق بين الدراستين.....إنّ كثيرا من الدراسات العربية النقدية المعاصرة لا تجد فرقا بينهما باعتبار أن الأسلوبية الوريث الشرعي لعلم البلاغة، وهنا يتم الاصطدام بطائفة من النقاد من يرون القطيعة بين العلمين مطلقا.

إنّ هذه الفوضى في المصطلح النقدي "لا تخدم النقد الأصيل، ولا البحث الأدبي الرصين" [25]، وتزيد على التشرذم السياسي بين الدول العربية، تشرذما ثقافيا، يخدم الفرقة ولا يخدم مطلقا الوحدة التي كثيرا ما تغنى بها القادة والشعراء والفنانون العرب في مختلف المنابر العلمية والثقافية والسياسية والانتخابية، والحق يقال إن كثيرا من عمليات وضع المصطلح النقدي عند العرب تتسم بالعفوية والعشوائية [26] والعبثية في بعض الأحيان، يلفها التعصب في الوضع والتعنت في الاستعمال، فصرنا إزاء ممارسات نقدية عربية أشبه باستعراض للعضلات قصد التميز على الغير، فلم يتنزه النقد الأدبي عن الممارسات السياسية للساسة العرب فيما بينهم.

خامسا : خاتمة

يمكننا أن نستنتج من خلال مقالنا المقتضب، النقاط التالية

1-الواقع المصطلحي في الممارسات النقدية العربية المعاصرة، يشهد فوضى عارمة، وازدحام، جعلت المتلقي العربي يعيش حالة تيهان في تلقي المصطلح النقدي واستعماله.

2-هذه الوضعية الفوضوية أثرت سلبا على الحركة الأدبية والنقدية، ولم تسمح للتلقي الجيد للنظريات والمناهج النقدية الغربية.

3-أصبح لكل ناقد عربي تقريبا مصطلحاته النقدية، تنطبق تماما مع ثقافته العلمية واللغوية، إذ يهدف من خلالها التميز والشهرة.

4-يعتمد النقاد العرب والقائمون على صناعة المصطلح في الوطن العربي على الترجمة بصورة مطلقة، مختلفين بين الفرنسية والانجليزية، وتتسم هذه الترجمات على العموم بالعفوية والعشوائية، والفردانية، إذ يغيب الفكر الترجمي المؤسساتي، مما عمق الهوة بين النظريات والمناهج النقدية في نسختها الغربية ونسخها العربية.

5-يشعر المتلقي العربي من خلال الترجمات العربية غير الدقيقة للنظريات والمصطلحات الغربية أنه إزاء أسلوبيات وبنيويات وسيميائيات وتفكيكيات، فلا يعرف أيها تمثل الأنموذج.

6-غياب التماثل والتطابق بين الدراسات التطبيقية العربية النقدية للمنجزات الأدبية شعرا ونثرا، وكنا دوما نصطدم بتساؤلات طلبة الجامعة والباحثين عن الطريقة المثلى لتحليل نص أدبي بمنظور لساني أو أسلوبي، أو بنيوي.....

7-وجود قطيعة أو شبه بين النقاد المشارقة والنقاد المغاربة، ففي الغالب لا يقرأ المشارقة الدراسات النقدية لإخوانهم المغاربة والعكس صحيح، وتقف خلف هذه الحالة الرديئة خلفيات تاريخية وسياسية ونفسية.

8-غياب النظريات والمناهج النقدية العربية الأصيلة التي تنبع من صميم مقومات الشخصية العربية، والتي تستلهم وجودها من ماضي الأمة العتيق ومستقبلها المشرق، ساعد في استفحال ظاهرة الفرقة والتشرذم في الممارسات النقدية.

9-الحل الوحيد للتقليص من فوضى المصطلح النقدي في الممارسات العربية، هو توحيد الجهود العربية شرقا وغربا من خلال المؤسسات لا الأشخاص، وإخضاع التجارب الترجمية للنظريات الغربية للجان القراءة والمناقشة، وتفعيل دور المجامع اللغوية العربية والمجالس العليا للغة العربية.

سادسا : توصيات

إن أزمة المصطلح النقدي العربي باقية ما بقيت مظاهر الفرقة والشتات السياسي، فهذا من ذاك ورغم ذلك نوصي بمايلي:

-إدراج مقاييس تعليمية تعلمية في الجامعات تهتم بفلسفة وضع المصطلح، قصد تعويد الطلبة والباحثين على الطريقة المثلى في ذلك.

- تنسيق الجهود العربية قاطبة لإنشاء مؤسسات ترجمية، تختص بمراقبة وتفعيل حركة الترجمة للنظريات والمناهج النقدية الغربية.

-تعزيز التبادل الثقافي بين الدول العربية من خلال البعثات العلمية من طلبة وباحثين وأساتذة، قصد الاطلاع على المناهج التعليمية والتعلمية المعتمدة في كل بلد عربي ومحاولة توحيدها، إذ "لانزال نعاني في جامعتنا وبحوثنا من غياب منهج يمكن أن نتفق حوله في تحليل النص الأدبي"[27]

-التخلي عن العصبية والتناحر بين المشارقة والمغاربة وتوحيد طرائق العمل النقدي.

- إنتاج معاجم وموسوعات مصطلحية نقدية متعارف عليها يعود إليها النقاد العرب شرقا وغربا.

-غربلة الساحة النقدية من المصطلحات المتراكمة وفق إستراتيجية عمل منسقة بين الشركاء العرب.

- التفكير بجد في تفعيل فكرة ابتكار مناهج نقدية عربية مستلهمة من التراث العربي وحيثيات المعاصرة.

-إشراك التراث العربي العتيق في وضع المصطلح، أي :اعتبار التراث النقدي العربي شريكا جوهريا في وضع المصطلح المعاصر.

-إلزامية توحيد طرائق التدريس للمقاييس الأدبية والنقدية في الجامعات، وتوحيد المصطلحات المستعملة، حتى نغرس في أذهان طلبتنا فكرا مصطلحيا نقيا صافيا بعيدا عن الفوضى والتأزم.

هوامش:

[1] – ينظر على سبيل المثال لا الحصر المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4 ، 2004، ص 520

[2] –شكري عياد، جسور مقاربات في التواصل الثقافي، عين للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، ط 1 ، 1995، ص 469

[3] –الزبيدي، تاج العروس، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان ، دت، ص 183

[4] –أحمد مطلوب، إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر، مجلة المجمع العلمي، مجلة فصلية، ج 2، مج45، بغداد، العراق، ص48

[5] – ينظر الجاحظ، الحيوان، ج 1، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 2، 1965 ، ص ص 327، 336

[6] –يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2008، ص ص 22، 23

[7] –عناد غزوان، المصطلح النقدي، لغة الضاد، منشورات المجمع اللغوي، بغداد، العراق، ط1، ص 305

[8] –ينظرعبد الله توام، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة، العدد01 ، ، 2020، ص 17

[9] – ينظر خلفاوي صبرينة، فوضى المصطلح النقدي العربي وسبل توحيده، الملتقى الدولي حول أزمة المنهج في الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة، 9 و 10 نوفمبر، 2016 ، جامعة الوادي، ص 2

[10] –وجيه فانوس ، إشكاليات في الإنتاج المعرفي والدلالي للمصطلح النقدي الأدبي العربي المعاصر، مجلة الجسرة الثقافية ، /http://aljasra.org/archive/cms

[11] – عناد غزوان، المصطلح النقدي، لغة الضاد، منشورات المجمع اللغوي، بغداد ، العراق، ص 24

[12] – لمزيد من الشرح والتحليل ينظر على سبيل المثال لا الحصر، محمد ضاري حمادي، وسائل وضع المصطلح العلمي في العربية ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 75، الجزء الثالث، ص 740 ومحمد أحمد الدالي، في الطريق إلى مصطلح علمي عربي موحد ، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، المجلد 75، الجزء الثالث، 2000، ص 740 ومحمد جاري، في رحاب المصطلح العلمي العربي، المجلس الأعلى للغة العربية، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 310

[13] –أحمد مطلوب، إشكالية مصطلح النقد الأدبي المعاصر، ص 49

[14] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[15] –أحمد مطلوب، معجم النقد الأدبي العربي، ج1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989، ص 28

[16] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[17] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[18] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[19] – جفغر بابوش، مجموعة من الكتاب ، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، دار الأديب للنشر والتوزيع، ط 1 ، 2005، ص29

[20] – محمد طبي، وضع المصطلحات ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992، ص 55 وينظر أيضا ، العبدي فتيحة ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، مذكرة ماجستير، مخطوط، جامعة وهران، 2014 ، ص 5

[21] – يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في المصطلح النقدي العربي الجديد، الدار الربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 2008، ص 53

[22] –المرجع نفسه ، ص248

[23] – ينظر عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي، دراسة مقارنة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1 ، 1996 ، ص 11 وما بعدها

[24] – ينظر على سبيل المثال لا الحصر، بعلي حفناوي، التجربة العربية في مجال السيمياء، الملتقى الوطني الأول – السيمياء والنص الأدبي، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 2002، ص 164

[25] – أحمد مطلوب، إشكالية المصطلح النقدي الأدبي المعاصر، ص 54

[26] – بنظر عبد الله توام، أزمة المصطلح في المقاربة النقدية بالتعدد المنهجي، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة خميس مليانة ، العدد 01 ، 2020 ، ص 25

[27] –فوزي عيسى، النص الشعري وآليات القراءة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر ، ط1، 1997